فيحكم به على صاحبه وقيل من اكثر الاشيا شهادة على عقل الرجل حسن مداراته للناس ويكفي ان حسن المداراة يشهد لصاحبه بتوفيق الله تعالى اياه فانه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من حرم مداراة الناس فقد حرم التوفيق فمقتضاه ان من رزق مداراة الناس لا يحرم التوفيق وقالوا العاقل الذي يحسن المداراة مع اهل زمانه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة مائة درجة تسعة وتسعون منها لاهل العقل وواحدة لسائر الناس وقال علي بن عبيدة رحمه الله العقل ملك والخصال رعية فاذا ضعف عن القيام عليها وصل الخلل اليها فسمعه اعرابي فقال هذا كلام يقطر عسله وقيل ايدي العقول تمسك اعنة النفس وكل شي اذا كثر رخص الا العقل فانه كلما كثر غلا وقيل لكل شي غاية وحد والعقل لا غاية له ولا حد ولكن الناس يتفاوتون فيه تفاوت الازهار في الحجا واختلف الحكما في ماهيته فقال قوم هو نور وضعه الله طبعا وغريزة في القلب كالنور في العين وهو يزيد وينقص ويذهب ويعود وكما يدرك بالبصر شواهد الامور كذلك يدرك بنور العقل المحجوب والمستور وعمى القلب كعمى البصر قال تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وقيل محل العقل الدماغ وهو قول ابي حنيفة رضي الله عنه وذهب جماعة الى انه في القلب كما يروى عن الشافعي رضي الله عنه واستدلوا بقوله تعالى فيكون لهم قلوب يعقلون بها وقوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب اي عقل وقالوا التجربة مرآة العقل ولذلك حمدت آراء المشايخ حتى قالوا المشايخ اشجار الوقار لا يطيش لهم سهم ولا يسقط لهم وهم وعليكم بآراء الشيوخ فانهم ان عدموا ذكا الطبع فقد افادتهم الايام حيلة وتجربة قال الشاعر

الم تر ان العقل زين لاهله ... ولكن تمام العقل طول التجارب

وقال آخر

اذا طال عمر المرء في غير آفة ... افادت له الايام في كرها عقلا

وقال عامر بن قيس رحمه الله اذا عقلك عقلك عما لا يعنيك فانت عاقل وقال لا شرف الا شرف العقل ولا غنى الا غنى النفس وقيل يعيش العاقل بعقله حيث كان كما يعيش الاسد بقوته حيث كان قال الشاعر

اذا لم يكن للمرء عقل فانه ... وان كان ذا بيت على الناس هين

ومن كان ذا عقل اجل لعقله ... وافضل عقل عقل من يتدين

وقالوا العاقل لا تبطره المنزلة السنية كالجبل لا يتزعزع وان اشتد عليه الريح والجاهل تبطره ادنى منزلة كالحشيش يحركه ادنى ريح وقيل لعلي رضي الله عنه صف لنا العاقل قال هو الذي يضع الشي مواضعه وقال المنصور رحمه الله لولده

خذ

خذ عني ثنتين لا تقل في غير تفكير ولا تعمل بغير تدبير وقال ازدشير رحمه الله اربعة يحتاج الى اربعة الحسب الى الادب والسرور الى الامن والقرابة الى المودة والعقل الى التجربة وقال القاسم بن محمد رحمه الله من لم يكن عقله اغلب الخصال عليه كان حتفه في اغلب الخصال عليه وقال ابو الدرداء رضي الله عنه قال لي النبي صلى الله عليه وسلم يا عويمر ازدد عقلا تزدد من الله قربا وعليه عزا ويروى عن علي رضي الله عنه انه كان ينشد هذه الابيات يقول

ان المكارم اخلاق مطهرة ... فالعقل اولها والدين ثانيها

والعلم ثالثها والحلم رابعها ... والجود خامسها والعرف سادسها

والبر سابعها والصبر ثامنها ... والشكر تاسعها واللين عاشرها

والعين تعلم من عيني محدثها ... ان كان من حزبها او من اعاديها

والنفس تعلم اني لا اصدقها ... ولست ارشد الا حين اعصيها

وقال بعض الحكما العاقل من عقله في ارشاد ورايه في امداد وقوله سديد وفعله حميد والجاهل من جهله في اغرا وقوله سقيم وفعله ذميم ولا يكفي في الدلالة على عقل الرجل الاغترار بحسن ملبسه وملاحة سمته وتسريح لحيته وكثرة صلفه ونظافة بزته اذ كم من كنيف مبيض وجليد مفضض وقال الاصمعي رحمه الله رايت بالبصرة شيخا له منظر حسن وثياب فاخرة وحوله حاشية وهرج وعنده دخل وخرج فاردت ان اختبر عقله فسلمت عليه وقلت له ما كنية سيدنا فقال ابو عبد الرحمن الرحيم مالك يوم الدين قال الاصمعي فضحكت منه وعلمت قلة عقله وكثرة جهله ولم يدفع ذلك عنه غزارة خرجه ودخله وقد يكون الرجل موسوما بالعقل مرموقا بعين الفضل فتصدر منه حالة تكشف حقيقة حاله وتشهد عليه بقلة عقله واختلاله وقيل ان اياس بن معاوية القاضي رحمه الله كان من اكابر عقلا العالم وكان عقله يهديه الى سلوك طرق لا يكاد يسلكها من لم يهد اليها فكان من جملة الوقائع التي صدرت منه وشهدت له بالعقل الراجح والفكر القادح انه كان في جماعة رجل مشهور بالامانة فاتفق ان رجلا اراد ان يحج فاودع عند ذلك الرجل الامين كيسا فيه جملة من الذهب ثم حج فلما عاد من الحج جا الى ذلك الرجل وطلب كيسه منه فانكره وجحده فجا الى القاضي اياس وقص عليه القصة فقال له القاضي هل اخبرت احدا غيري قال لا قال فهل علم الرجل انك جئت الي قال لا قال فانصرف واكتم امرك ثم عد الي بعد غد فانصرف ثم ان القاضي دعا ذلك الرجل المستودع فقال له قد حصل عندي اموال كثيرة ورايت ان اودعها عندك فاذهب وهي لي موضعا حصينا فمضى ذلك الرجل وحضر صاحب الوديعة فقا

Copyright © King Saud University